# التركية فى العامية المصرية

للدكتور حسين مجيب المصرى

من الحق قولنا إن لدراسة العامية من الأهمية ما لا يقل عن دراسة الفصحى ، وليس من المبالغة فى شىء أن نشير إلى كون تلك العامية أجدر باهتمامنا فى بعض الأحايين وماذاك إلا لأنها لغة تخاطب كانت أو لغة أدب ، منطلقة من القيود والحدود صريحة الدلالة منبعثة من رغبة فى التعبير المستقيم ، طيعة فى تأثيرها بما يموج حولها . وهى فى هذا كله من صفاتها قد تكون على العموم أصدق فى دلالتها وأعرق فى صراحتها من لغة الفصحاء التى ربما كان لها من قيودها ما ألزمها حدود نطاق لا تتجاوزه . فالعامية بهذه المثابة خير معبر عن روح الشعوب حين تمس حاجة الشعوب إلى ذكر ما يحزنها ويبهجها أو وصف مصائرها أو التحدث حديثاً ينم عن المفصل من تاريخها والخاص من أمورها .

وعليه ، ينبغى لنا حين نتصدى لها كلغة تدور على الألسنة فى أحاديث القوم . ولغة يعبرون بها عن خوالج النفس ويصفون الحياة بكيفية ينطلقون فيها على سجيتهم اللغوية وسليقتهم التعبيرية . ونحن فى هذا المقام ناظرون إلى العامية المصرية من حيث تأثرها بالتركية ليس إلا .

ونحن إذا ماذهبنا نتلمس تاريخاً لبدء التعارف بين المصريين والأتراك رغبة منا فى تصورنا لهم متعايشين مختلطين ، سبق من الفهم أن ذلك كان عام ١٥١٧م، حين فتح السلطان سليم الأول مصر . غير أن واقع التاريخ ينفى هذا

الحسبان . فقد تعرف المصريون إلى الترك قبل ذلك بطويل زمان . وقدم الترك ولاة للعباسيين على مصر . ومنهم يزيد بن عبد الله التركى الذى وليها من قبل الخليفة المنتصر . كما وليها أزجور التركى ، والكندى صاحب كتاب ولاة مصر يميز هذين الواليين بجنسيتها التركية . كما ولى المعتز ابن طولون عليها سنة أربع وخمسين ومائتين . وهو تركى أصيل كما يستدل من اسمه — فطولون بمعنى بدر التمام . وأسس بمصر دولة ظلت قائمة سبعة وعشرين عاماً ثم استقلت بمصر دولة تركية أخرى هى دولة الأخشيديين وقد تسموا بهذا الاسم نسبة إلى ملوك فرغانة والأخشيد لقبهم .

وحذا الفاطميون فى مصر حــــذو العباسيين فى بغداد . فاستقدموا واستخدموا الترك جنوداً وحراسا .

وهنا وقفة لابد منها مخافة أن يخرج بنا السرد التاريخى عما نحن بصدده ولنطرح هذا السؤال وهو هل أثر هؤلاء الأتراك بلغتهم فى لغة المصريين؟ والجواب على ذلك أن هذا جائز عقلا وليس من الحتم أن يجوز واقعا . كما أنه يفضى بنا إلى سؤال آخر وهو ما إذا كان الترك الذين خالطوا العرب فى بغداد قد أثروا فى لغة العرب .

ونحن لا نملك سندا من تاريخ للإجابة على هذا السؤال . وأكبر الظن أن هؤلاء الأتراك الذين دخلوا فى دين الله أفواجاً عرفوا العربية وكان حتما أن يعرفوها لغة لكتاب الله وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم . وإن كان من المستبعد ألا يتحدثوا بلغتهم القومية ولو فيما بينهم .

ثم ينجلى هذا الغموض شيئاً ما فيما يتعلق بتأثير الترك فى لغة المصريين حين ندرك العصر الأيوبى . فنحن نعلم أن الأيوبيين أقبلوا الإقبال الشديد على شراء المماليك واستعان صلاح الدين ونور الدين بجند من الترك . وتلا تلوهما الصالح نجم الدين أيوب فبنى لهم الثكنات فى جزيرة الروضة .

ولكن لم يكن لهؤلاء الأتراك بالمصريين خلطة إلا فيما ندر ، وشكلوا طبقة عسكرية منفصلة عن أهل البلاد ، وإن قيل إن التركية كانت لغة الحديث فى قصر صلاح الدين ومعسكره وإن جميع مؤرخى تلك الدولة أطلقوا عليه اسم الدولة التركية وها هو ذا ابن النبيه من شعراء الأيوبيين يحدثنا عن جمال الترك بقوله :

الله أكبر كل الحسن فى العرب      كم تحت لمة ذا التركى من عجب

كما طرق نفس المعنى شاعر أيوبى آخر وهو يقرظ ديواناً من الشعر العربى لشاعر تركى فقال :

وكنت أظن الترك تختص أعين      لهم إن رنت بالسحر فيها وأجفان

إلى أن أتانى من بديع قريضهم      قوافى هى السحر الحلال وديوان

أما فى عهد المماليك فإن التركية أصبحت لغة القصر . وكان المصريون يمقتون المماليك أشد المقت . وقلما جرى مع ألسنة هؤلاء كلام بالعربية . وما أصهروا إلى أهل مصر إلا فى الندرة .

ويستبين من هذا كله أن التركية كانت فى القصور والمعسكرات . ولغة أهل الحول والطول من السلاطين والحكام وذوى البطش من أهل السيف . فكان يدرؤها عن أهل مصر أبواب وحجاب . وربما كراهية تنفر منها كما نفرت من أهلها .

وأياما كان فلا يستقيم فى الفهم ألا يكون قد تسرب إلى المصريين منها ولا بعض مفرداتها .

ولو يفوتنا قولنا إن هذه التركية لم تكن العثمانية التى نأنسها ونعدها الثالثة من لغات الأدب الإسلامى .

وبعــد الفتح العثمانى ، انعقدت الصلات بين المصريين والأتراك العثمانيين ، ولا نعرف بين هؤلاء وهؤلاء من العداء والمقت مثل ما نعرف فى عهد المماليك فلقد ذكر أحد الرحالة فى القرن السادس عشر أن المماليك يعايشون العرب كما يعايش الذئب الحمل ، ولطالما انتشب القتال بين العرب والمماليك .

أما فى عهد العثمانيين ، فتبدلت الحال غير الحال ، واستعان العثمانيون بالعرب على تنظيم المجتمع المصرى وبسط الأمن فى ربوع البلاد . مما ينهض دليلا على أن العثمانيين كانوا على وفاق مع الجمع الغفير من أهل مصر . وما من شك فى مثل أن هذا التعاون لابد موطد للصلات بين الأتراك وأهل مصر . كما أنه يتيح للغة الحاكمين أن تؤثر فى لغة المحكومين وتلك الحقيقة أقرب إلى الفهم . وتصح تعليلا لتسرب مالا يحصى كثرة من الألفاظ التركية إلى العامية المصرية .

ومما يذكر أن تلك الألفاظ التركية لم تدخل لغة المصريين مصرية كما كان الشأن فى الفارسية التى يمر بها العرب فكانت جزءاً لا يتجزأ من متن اللغة العربية ، بل إنه يجىء التركية فى العامية كما هى وإن حرفتها ألسنة المصريين .

ولا نستحسن فى هذا المقام أن نحاول حشداً لتلك الألفاظ أو إحصاء لأن ذلك كثير متسع يطول شرحه ويسئم ذكره . فمن الخير تقسيم تلك الألفاظ اقساماً يستدل منها على شىء .

واول ما نصادف منها اسماء الطعام والشراب . ففى العامية المصرية كثير من أسماء الأطعمة . ونلاحظ أنها من ألوان الطعام الطيبة الفاخرة فى الأغاب مثل أوزى وهى فى التركية توزى بمعنى الحمل وكندوز من أوكوز بمعنى الثور . أما كباب وكوفتة فلفظان فارسيان وثالثهما موزة وهى فى الفارسية

مازو . ومن صنوف الخضر مايعرف بالقللى وهو من تورلو تورلو فى التركية بمعنى التنوع . والضولمة . وهى طولمة بمعنى الممتلىء أو الحشو . أما الحلوى فمنها الشكلمة وأصلها شكرلمة . والخشاف كلمة فارسية بمعنى الماء اللذيذ وقد انتقلت من الفارسية إلى التركية ومنها إلى العربية .

وحسبنا هذا القدر من الأسماء الذى يستدل منه على أن العثمانيين يهتمون بطعامهم . وهذا مانعهده إلى اليوم . فمن يزر استانبول يلحظ كثرة المطاعم وحوانيت الحلوى فيها .

كما ندرك من هذا . أن الحكام وذوى اليسار من العثمانيين فى مصر عرفوا أهلها صنوفاً خاصة بهم . وكثيراً من أدوات الطهو مازالت إلى اليوم بأسمائها التركية .

ومما يعرف عن الترك ميلهم إلى جمال الفنون وروعتها ، وحسبنا أن نذكر ترحيل السلطان سليم لمهرة الصناع المصريين إلى استانبول ليفيد الترك من حذقهم فى فنونهم . وهذا يذكرنا بلاحقة فى العامية المصرية وهى ( جى ) فإنها فى التركية تفيد معنى صاحب الحرفة أو الفن .

أما الملابس. فمازالت بعض أسمائها تركية ، ومن تلك الأسماء ما اندثرت مسمياتها اليوم مثل ( جنتيان ) وهو نوع من السراويل تلبسه الفلاحات . واذكر أنى سمعت هذه الكلمة منذ خمسين عاماً فى أغنية من أغانى الحاجات. فهل كانت الفلاحة المصرية تلبس هذه السراويل أو أنها كانت خاصة بحاجة تركية ومنها الضترى وهى فى التركية انتارى وهو نوع من القمصان ، ولكنها فى العامية المصرية مبتذلة . ومن الألفاظ ما بقيت على تركيتها وما لها من بديل مثل ( أويه ) وهى حلية يزودان بها ماتستر به بعض النساء رءوسهن . أما الطربوش وأصله فى الفارسية سربوش بمعنى غطاء الرأس . فكان خاصاً بالنساء وقد وردت هذه الكلمة فى شعر بالتركية العامية للشاعر واصف

الأندرولى المتوفى ١٨٤٥ م ، وفيه يجرى الكلام على لسان أم تنصح ابنتها بألا تخيط الأزرار فى طربوشها لأن ذلك يخرجها من أصول الحشمة .

ومن الألفاظ التركية ماهو مشتق من العربية غير أن له مدلولا خاصاً ليس له فى العربية مثل (حرامى) بمعنى اللص وهذا اللفظ مهجور فى لغة الترك ولكنه باق فى العامية المصرية فكأنه مات فى التركية ليحيا فى العربية .

أما كلمة بقشيش وهى فى الفارسية بخشش بمعنى الهبة والعطاء . فقد ماتت فى الفارسية لتحيا فى التركية والعامية المصرية . ومن الألفاظ التى نتوهمها عربية وهى تركية كلمة عربة ، فلا وجود لها فى معاجم العربية لأنها إرابا فى التركية . وهى تذكرنا بكلمة حنتور وهى تركية مأخوذة من المجرية Hinto .

ومن الألفاظ التى هجرت فى الفارسية وانتقلت منها إلى التركية (دستور) وهى لاتستخدم الآن فى التركية وإن بقيت فى العامية المصرية بمعنى الإذن. والإذن فى حال خاصة عند الرغبة فى التعبير عن الرجاء والاعتذار .

ومن المستطرف أننا لانعدم الألفاظ التركية فى كلام أطفالنا . فهم حين يلعبون بالكرات الصغيرة المعروفة بالبلى يقول البادىء باللعب أنا البرم . من بر فى التركية بمعنى أول . كما أن الصغار إذا أرادوا العبث بالحمار الناهق قالوا له زر . وهى الأمر فى التركية من المصدر زارلماق بمعنى النهيق . أما الألفا، وهو رئيس التلاميذ فى الفصل فهو الصيغة التركية لقلفا أو خليفة بمعنى من يخلف المدرس .

أما أسماء الاعلام فى مصر فمتأثرة بالتركية إلى حد بعيد فكل اسم ينتهى بتاء مفتوحة مثل حكمت ونصت وبهجت هو فى صيغته التركية .

وحسبنا هذا القدر من الألفاظ التركية التى إندمجت فى العامية المصرية.

والنشر إلى أثر التركية فى الأدب الشعبى عند أهل مصر ونذكر أول مانذكر تلك الأغانى التى تغنيها الأم لطفلها وهى تسكنه وتهدئه لينام . وهذا النوع من الأغانى كثير فى العامية المصرية كثرته فى التركية . والأرجح أن يكون أهل مصر قد عرفوه من الترك ففى التركى والعربى من هذه الأغانى كلمتان تترددان فى كل أغنية وهى (هو) من أسماء الأصوات و (نى) وهو اسم تلك الأغنية فى التركية المشتق من (نانو) فى الفارسية وهذا ما أدخل على العامية المصرية فعلا هو (يهنن) بمعنى أن تغنى الأم لصغيرها حتى ينام .

ومن الدليل على أن المصريين كانوا يعلمون بوجود هذه الأغانى عند الترك ويتأثرون بها تلك الأغنية .

ننه ننه بالتركى

ننه ننه بالعربى

يالله تنام يالله تسكت

وادبح لك جوزين كتكت

وهذه الأغانى على سذاجتها تعبر عن الأفكار الشائعة والتقاليد المتوارثة . فمعلوم أن عوام المصريين يفضلون أن يولد لهم ولد على أن تولد لهم بنت . وهذا ماتؤكده الأغنية التى تقول الأم فيها :

لما قالوا دى بنيه

إنهدّ ركن البيت على

كما قالوا ده ولد

اشد ضهرى واسند

ونحن نصادف ألفاظاً تركية فى تلك الأغانى المصرية .

ومن الأغانى الشعبية مايعرف بالموال . وقد وصف الشاعر التركى فاضل بك فى القرن الثامن عشر امرأة مصرية تتغنى به . والمتبادر إلى الذهن أن الموال من المواليا وهى نمط من الشعر العامى عرفه العرب فى العصر العباسى غير أن القواميس التركية تنص على أن الكلمة تركية .

ومن الأدب الشعبي عند الترك والمصريين مايعرف بخيـــال الظل ، وينعقد إجماع المؤرخين على أن الترك فى آسيا الشرقية أخذوه عن الصين . والصين أهل مهارة فى الصناعة .

فكانوا يرسمون على قماش أوورق صوراً للانسان والحيوان حتى يتكون ستار مزدان بالصور والنقوش ثم يلف بهذا الستار مايشبه مصباحاً كبيراً موقداً فتبدو صور الستار ، ثم يدار المصباح حول نفسه لتعاقب الصور أمام المشاهدين .

وفى رأى أن العثمانيين عرفوا خيال الظل أول ماعرفوه فى عهد السلطان أدرخان حام ١٣٥٩ م، وفى رأى آخر أنهم أخذوه عن المصريين . ويقال عن السلطان سليم بعد قتله طومان باى أنه استدعى خيالياً وأمره أن يمثل صلب طومان باى على باب زويله وأعجب السلطان كل الإعجاب بماشاهد وشاء أن يصحبه ذلك الخيال إلى استانبول ليدخل البهجة على نفس ولده الأمير سليمان القانونى خيَّر سنمائة من هؤلاء الخياليين الذين استقدمهم أبوه من مصر بين البقاء فى تركيا والعودة إلى مصر . ويعتمد بعض الباحثين على هذا الخبر فى إثبات أن الأتراك عرفوا خيال الظل من المصريين .

ولكن الجدير بالذكر هو أن هذه المعروضات أو التمثيليات كانت تشرح بالعربية والتركية وشخصياتها من الشعبين المصرى والتركى . وهذا ماينطبق

على مايعرف بالقره كوز أو مسرح العرائس . وقيل إن الحوار بين القره كوز وغيره من الشخصيات كان يدور بالعربية والتركية فى عصر محمد على . وهذا مؤكد أنه كان يتيح للمصريين أن يتفهموا بعض مايسمعون بالتركية . وتلك وصلة ولاشك بين اللغتين أوحدها ذلك الفن الشعبى . وليس بمستبعد أن يكون بعض المصريين قد تلقفوا شيئاً من التركيـة بمشاهدة هذه التمثيليات وعرفوا أن ألفاظها ماضمنوها لغتهم العربية وأجروها على ألسنتهم ومنـذ أربعين عاماً نظم أحمد شوقى أغنية باللغة الدارجة بعنوان (بلبل حيران) وفيها يتمثل البلبل عاشقا للوردة يعبر لها عن هواه ويبثها شكواه . وما من ريب فى أن هذا الشاعر إنما عرف ذلك من قراءة له فى الأدب التركى القديم أن البلبل يعشق الوردة ولا يغنى إلا إلى جانبها . وشعراء الصوفية يرمزون بذلك إلى وفاق المعانى وخفى الرموز .

وغير شك أن التركية بعـــد انسرابها فى عامية المصريين أدخلت عليها كثير من الألفاظ الفارسية التى شكلت الكثرة الكاثرة من ألفاظها . فلنا أن نقول إن لغة المصريين أصبحت مظهراً لالتقاء اللغات الإسلامية الثلاث فى لغة واحدة . ولعله المظهر الأهم الأوضح لاتحاد المسلمين فى تفكيرهم وتعبيرهم وشعورهم المتجلى فى أدبهم الفصيح والشعبى كتجليه فى لغتهم الفصحى والعامية .

ونذكر فى ختام هـذا المقال كلمتين تجريان على لسان الطفل إذا جاع وظمىء . فهو يقول ( مم ، وهى كلمة تركية ) بمعنى الطعام . ويقول ( امبو ) وهى كلمة مصرية قديمة بمعنى ظمآن . وكأن كلمتيه مصرية أصيلة وتركية دخيلة تدوران وهما متلازمان فى أول مايجرى له من الكلام على اللسان .